مقال

دور المنهاج التكامليّ في التخطيط الدراسيّ وتحسين التعلّم

حليمة محمّد العمّارين

في ظلّ التغيّرات المتسارعة التي يشهدها العالم في مجالات التعليم والمعرفة، تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في أساليب التخطيط الدراسيّ، وأسس تصميم المناهج التعليميّة، لضمان تحسين جودة العمليّة التعليميّة وتعزيز أداء الطلبة. ومن بين الاتّجاهات الحديثة التي حظيت باهتمام واسع، مفهوم المنهاج التكامليّ، والذي يُعدّ أحد أبرز النماذج التربويّة التي تهدف إلى تحقيق ترابط وتكامل بين المعارف والمهارات المختلفة، ما ينعكس إيجابيًّا على بناء شخصيّة المتعلّم، وقدرته على مواجهة التحدّيات الواقعيّة.

لا يقتصر المنهاج التكامليّ على تقديم محتوى معرفيّ متنوّع، بل يسعى لتوظيف الترابط بين التخصّصات العلميّة المختلفة، بطريقة تسهم في توسيع أفق المتعلّم وتطوير مهاراته العمليّة والتحليليّة. في هذا الإطار، يُشكّل التخطيط الدراسيّ الفعّال أداة أساسيّة لدعم هذا التوجّه، إذ يعتمد على تصميم استراتيجيّات تعليميّة مبتكرة تراعي احتياجات الطلبة، وتتماشى مع أهداف التعليم المعاصر.

يُعزّز هذا النهج من جودة العمليّة التعليميّة، عن طريق تقديم تجربة تعلّم شاملة، تركّز على تحقيق التوازن بين الجوانب النظريّة والتطبيقيّة، ما يُسهم في تعزيز مشاركة الطلبة وتطوير أدائهم الأكاديميّ والمهنيّ. كما يفتح المجال أمام المعلّمين لاعتماد أساليب تدريس تفاعليّة، تلبّي تنوّع الفروق الفرديّة بين الطلبة، وتُشجّع على التفكير النقديّ وحلّ المشكلات.

في هذا المقال، سنناقش المقصود بالمنهاج التكامليّ، ودور التخطيط الدراسيّ الفعّال في تطبيقه، وأثر دمج التربية المهنيّة مع الموادّ الدراسيّة الأخرى في مهارات الطلبة العمليّة. كما سنتعرّف إلى المزايا الرئيسة لاستخدام المنهاج التكامليّ في تعزيز أداء الطلبة، إلى جانب الصعوبات التي قد يواجهها المعلّمون عند تطبيق المنهاج التكامليّ، والحلول المقترحة للتغلّب عليها. وفي النهاية، سننظر في إمكانيّات توظيف استراتيجيّات التدريس الحديثة لتعزيز فاعليّة المنهاج التكامليّ.

تناول الباحثون في مجال التربية والتعليم عدّة تعريفات ومصطلحات حول مفهوم المنهاج التكامليّ، من بينها ما أوردته الجهوريّ (2002) بأنّه "محاولة للربط بين الموضوعات الدراسيّة المختلفة التي تقدّم إلى الطلّاب في شكل مترابط ومتكامل، وتنظّم تنظيمًا دقيقًا، يسهم في تخطّي الحواجز بين الموادّ الدراسيّة المختلفة". كما يعرّف المعيقل (2001) المناهج التكامليّة بأنّها "المناهج التي يتمّ فيها طرح المحتوى المراد تدريسه ومعالجته بطريقة تتكامل فيها المعرفة، من موادّ أو حقول دراسيّة مختلفة، سواء كان هذا المزج مخطّطًا ومجدولًا بشكل متكامل حول أفكار وقضايا وموضوعات متعدّدة الجوانب، أم تمّ بتنسيق زمنيّ مؤقّت بين المدرّسين الذين يحتفظ كلّ منهم بتخصّصه المستقلّ، أم بدرجات بين ذلك".

في تعريف الجهوريّ (2002)، يتّجه التركيز إلى فكرة الربط بين الموضوعات الدراسيّة المختلفة، وتقديمها بشكل مترابط ومتكامل، مع تنظيمها تنظيمًا دقيقًا يسهم في تخطّي الحواجز بين الموادّ الدراسيّة، بما يدلّ على منظور شامل للتكامل داخل المنهاج، يقوم على الترابط المنظّم بين عناصره. أمّا تعريف المعيقل (2001)، فيسلّط الضوء على المناهج التي يُطرح فيها المحتوى ويُعالَج بطريقة تتكامل فيها المعرفة من موادّ أو حقول دراسيّة مختلفة، سواء كان هذا المزج مخطّطًا ومجدولًا بشكل متكامل حول أفكار وقضايا وموضوعات متعدّدة الجوانب، أم تمّ بتنسيق زمنيّ مؤقّت بين المعلّمين، مع الحفاظ على التخصّصات المستقلّة. هذا يوضّح فكرة التوازن بين التنسيق المخطّط والتنسيق الزمنيّ المرن. فتعريف الجهوريّ يركّز على التنظيم الدقيق والترابط الشامل بين الموادّ، في حين يُظهر تعريف المعيقل تنوّعًا في الأساليب الممكنة لتحقيق التكامل، مثل التنسيق الزمنيّ بين المعلّمين، أو المزج بين الموادّ بحسب الحاجة. ولكن، لم يتناول أيّ من الجهوريّ والمعيقل دور كلّ من المعلّم والمتعلّم في تحقيق هذا التكامل. ومن التعريفَين، أجد أنّ تحدّي التطبيق يكمن في أنّ العديد من الأنظمة التعليميّة لا تزال تركّز على الاختبارات التقليديّة، والتي غالبًا ما تقيس الاسترجاع السطحيّ للمعلومات، أكثر ممّا تقيس الفهم الحقيقيّ والتكامل المعرفيّ بين الموادّ.

يتّخذ المنهاج التكامليّ مسارَين رئيسين: يتمثّل الأوّل في التكامل الأفقيّ، والذي يعتمد على إيجاد الروابط المشتركة بين الموادّ الدراسيّة المختلفة، بحيث يمكن للطالب استخدام معارفه من مادّة معيّنة في مادّة أخرى، عند مواجهته مشكلة أو موقفًا معيّنًا. أمّا الثاني فيتمثّل في التكامل الرأسيّ الذي يُعرف أيضًا بالبناء الحلزونيّ أو اللولبيّ للمنهج، ويقوم على البحث عن العناصر المشتركة والمترابطة بين المفاهيم عبر المستويات الدراسيّة المختلفة.

وفي هذا السياق، يُعدّ التخطيط الدراسيّ خطوة جوهريّة لتوجيه العمليّة التعليميّة بطريقة منظّمة وهادفة، إذ يعتمد التخطيط الفعّال على تحقيق أهداف تربويّة متكاملة، تراعي حاجات الطلّاب ومتطلّبات الموادّ المختلفة. ويعزّز المنهاج التكامليّ هذه العمليّة بالسماح للمعلّمين بتصميم دروس تربط بين المفاهيم وتوسّع مدارك الطلّاب، ما يجعل الدروس أكثر شموليّة وفاعليّة. وقد أظهرت العديد من الدراسات الحديثة، مثل دراسة (سميث، 2022) و(جونز، 2023)، أنّ دمج الموادّ يسهم في تحسين استجابة الطلّاب ورفع مستوى تحصيلهم الأكاديميّ، لكن لا بدّ من تحليل ما إذا كانت هذه النتائج قابلة للتطبيق على جميع أنواع الطلّاب، بمختلف الأعمار والمستويات الدراسيّة، أم إنّها تقتصر على فئات معيّنة. وفي الواقع التعليميّ، يمكن للمعلّمين تصميم دروس متكاملة تربط بين الموادّ المختلفة، مثل الرياضيّات والعلوم أو اللغة والفنون. فمثلًا يمكن ربط درس رياضيّات بمفاهيم علميّة لتوسيع الأفق المعرفيّ لدى الطلّاب، ما يعزّز قدرتهم على الربط بين المعارف النظريّة والعمليّة. ولكن من المهمّ توفير تدريب مستمرّ للمعلّمين، حتّى يتمكّنوا من تخطيط هذه الدروس بشكل فعّال.

يُعدّ تخطيط المنهج التكامليّ في مادّة التربية المهنيّة من الأساليب الحديثة التي تهدف إلى تعزيز تجربة التعلّم لدى الطلّاب، عن طريق دمج المعارف والمهارات من مجالات متعدّدة في سياق تربويّ واحد. ويعتمد هذا النوع من التخطيط على دمج مجالات التعليم المختلفة، مثل التربية الفنّيّة والرياضيّات واللغة العربيّة وغيرها، بما يسهم في تحفيز التفكير النقديّ وتطبيقه في مواقف حياتيّة. ويُعدّ دمج التربية المهنيّة مع الموادّ الدراسيّة الأخرى نهجًا تعليميًّا متكاملًا، يهدف إلى تعزيز المهارات العمليّة والمعرفيّة لدى الطلّاب، وربط التعلّم بالحياة الواقعيّة. ويقوم هذا النهج على تكامل المعرفة والخبرات، ما يسهم في تنمية مهارات التفكير العليا والإبداع لدى المتعلّمين. من خبرتي الميدانيّة بصفتي معلّمة تربية مهنيّة، استطعت توظيف أسلوب التكامل الأفقيّ في تدريس درس "ريادة الأعمال"، ضمن مشروع تعليميّ دمج عدّة مجالات دراسيّة لطلبة الصفّ الرابع. في هذا المشروع، عملت الطالبات على تصميم منتَج (حقيبة مدرسيّة)، ما تطلّب دمج مهارات من مجالات دراسيّة متنوّعة، الأمر الذي عزّز قدرتهنّ على الربط بين المعرفة والتطبيق العمليّ. ففي مادّة التربية الفنّيّة، تعلّمت الطالبات كيفيّة رسم التصاميم، واختيار الألوان المناسبة، والتمكّن من أسس التصميم الجماليّ. وفي مادّة الرياضيّات، طبّقن مهارات رياضيّة في قياس الأبعاد وحساب التكلفة، كما استخدمن مفاهيم من الهندسة لتصميم الأبعاد بدقّة. أمّا في مادّة اللغة العربيّة، فشاركن في كتابة تقارير أو تقديم عروض شفهيّة، لشرح فكرة المشروع وكيفيّة تنفيذه. وفي مادّة التربية المهنيّة، تعلّمن كيفيّة اختيار الخامات المناسبة، واستخدام الأدوات بشكل آمن، وتطبيق المهارات العمليّة في صناعة المنتج. هذا التكامل بين الموادّ الدراسيّة المتنوّعة لم يعزّز القدرات الأكاديميّة للطالبات فحسب، بل ساعدهنّ أيضًا في تطوير مهارات حياتيّة، مثل التفكير النقديّ والتخطيط والتنفيذ. وقد عبّر العديد من الطالبات عن آرائهنّ حول المشروع، ومن بين هذه الآراء قول إحدى الطالبات: "كان المشروع ممتعًا جدًّا! لأوّل مرّة أشعر أنّ كلّ الموادّ التي ندرسها مرتبطة ببعضها البعض. تعلّمت كيف أصمّم الحقيبة، وأحسب تكلفتها، وأختار الألوان المناسبة لها".

من أهمّ المزايا التي يقدّمها المنهاج التكامليّ تأثيره الواضح في تعزيز أداء الطلّاب. فقد أظهرت دراسة (كينغ، 2023) أنّ الطلّاب الذين تلقّوا تعليمًا تكامليًّا، أبدوا تطوّرًا ملحوظًا في مهارات التفكير العليا والقدرة على حلّ المشكلات. كما يسهم المنهاج التكامليّ في تعزيز الانتباه والتركيز لدى الطلّاب، ما يؤدّي إلى تحسين الأداء الأكاديميّ العامّ. ومن مزاياه أيضًا ربط المعرفة النظريّة بالتطبيق العمليّ، وذلك بتوظيف محتوى الموادّ الدراسيّة في سياق حياة الطالب والمجتمع، وتوفير فرص لتطبيق المفاهيم والمهارات التي يتعلّمها الطالب بشكل عمليّ. وهذا ينسجم بشكل جيّد مع الإطار العامّ لمنهاج التربية المهنيّة، والذي يؤكّد أنّ الشموليّة تتضمّن الجوانب المعرفيّة والمهاريّة والقيميّة، وتتكامل أفقيًّا وعموديًّا لتحقيق أهداف العمليّة التعليميّة التعلّميّة برمّتها، كما ترتبط الشموليّة بالحياة وسوق العمل.

وفي الختام، يُعدّ المنهاج التكامليّ أحد الأساليب الحديثة في التعليم، إذ يهدف إلى دمج مختلف المجالات الدراسيّة بطريقة

مترابطة، تعزّز الفهم العميق وتطبيق المعرفة في سياقات حقيقيّة. وعلى رغم ما يقدّمه هذا المنهاج من فوائد كبيرة في تنمية مهارات التفكير النقديّ والإبداعيّ لدى الطلّاب، إلّا أنّ تطبيقه يواجه عددًا من التحدّيات التي قد تعيق فاعليّته، ومن أبرزها افتقار بعض المعلّمين إلى التدريب الكافي على أساليب التخطيط التكامليّ، وهذا ما واجهته بصفتي معلّمة في بداية تجربتي، إذ لم أكن أمتلك خبرة كافية في التخطيط الفعّال لهذا النوع من المناهج، ما انعكس على قدرتي على تنفيذه بالشكل المطلوب. كما يتطلّب تطبيق المنهاج التكامليّ وقتًا وجهدًا كبيرين لتخطيط الأنشطة والمحتوى وتطبيقها داخل الصفوف، بالإضافة إلى الحاجة إلى موارد تعليميّة متنوّعة، تشمل وسائل تفاعليّة وأنشطة عمليّة. وقد يُقابل هذا التوجّه برفض من بعض المعلّمين أو الطلّاب، ممّن اعتادوا على الأساليب التقليديّة. كما تشكّل صعوبة التنسيق بين معلّمي الموادّ المختلفة وضغط الجدول الدراسيّ، عاملًا إضافيًّا يُعقّد عمليّة التنفيذ. وتزداد التحدّيات حين يُطلب من المعلّمين التعامل مع طلّاب ذوي احتياجات تعليميّة متباينة. ولمواجهة هذه الصعوبات، تُقترح مجموعة من الحلول، منها: تنظيم ورش عمل ودورات تدريبيّة لتأهيل المعلّمين في تطبيق المنهاج التكامليّ، وتوفير موارد تعليميّة تدعم هذا النهج، إلى جانب تخصيص وقت إضافيّ ضمن الجدول الزمنيّ، لتمكين المعلّمين من التخطيط التعاونيّ وتبادل الخبرات. وكذلك التعاون مع المجتمعات المحلّيّة والمؤسّسات التعليميّة لتوفير موارد إضافيّة، والاستفادة من التكنولوجيا التعليميّة بشكل فعّال. كما يُستحسن تنفيذ حملات توعية، لتعريف المعلّمين وأولياء الأمور بأهمّيّة هذا المنهاج وفوائده للطلبة، مدعومة بأمثلة عمليّة ونتائج بحثيّة. ويُعدّ اعتماد استراتيجيّات تعليميّة مرنة تراعي الفروق الفرديّة بين الطلّاب خطوة ضروريّة، عن طريق تقديم أنشطة متنوّعة تناسب مستوياتهم واحتياجاتهم، إلى جانب تهيئة بيئة تعليميّة محفّزة، تدعم روح الابتكار والتجريب داخل الصفوف.

يمكن توظيف استراتيجيّات التدريس الحديثة لتعزيز فاعليّة المنهاج التكامليّ، عن طريق دمج أساليب التعلّم النشط، مثل التعلّم القائم على المشروعات والتعلّم التعاونيّ، ما يعزّز الفهم العميق، ويربط المعرفة النظريّة بالتطبيق العمليّ. كما تتيح التقنيّات الحديثة، مثل التعلّم المدمج والتعليم القائم على الاستقصاء، فرصًا للطلّاب لتطوير مهارات التفكير النقديّ وحلّ المشكلات. بالإضافة إلى ذلك، يسهم توظيف التقييم التكوينيّ المستمرّ في توجيه عمليّة التعلّم، وضمان تحقيق التكامل بين الموادّ الدراسيّة، ما يعزّز الترابط المعرفيّ، ويجعل التعلّم أكثر فاعليّة وواقعيّة.

***

يُعدُّ المنهاج التكامليّ نهجًا تعليميًّا حديثًا يدمج بين التخصّصات المختلفة، فيعزّز الفهم العميق والتفكير النقديّ والتعلّم الذاتيّ، كما يربط المعرفة بالواقع العمليّ، ويقلّل من التكرار، محقّقًا استغلالًا أفضل للوقت. ومع ذلك، يواجه هذا المنهاج تحدّيات تتعلّق بصعوبة التخطيط، وضرورة تدريب المعلّمين، واحتماليّة فقدان العمق الأكاديميّ، بالإضافة إلى تعقيدات التقييم، وعدم توافقه مع بعض النظم التعليميّة التقليديّة. مقارنة بالمنهاج التقليديّ، فهو أكثر تفاعليّة، ويعزّز التفكير الإبداعيّ، ويربط التعلّم بالحياة الواقعيّة، في حين يعتمد المنهاج التقليديّ على التلقين والحفظ، ما يجعله أقلّ ديناميكيّة. وعلى الرغم من التحدّيات، يمثّل المنهاج التكامليّ توجّهًا تعليميًّا متطوّرًا يلبّي احتياجات العصر الحديث، إذا توافرت له مقوّمات النجاح.

حليمة محمّد العمّارين
معلّمة تربويّة
الأردنّ

المراجع

- المعيقل، عبد الله. (2001). *المناهج الحديثة وتطبيقاتها في التعليم الأساسيّ*. دار الزهراء للنشر والتوزيع.
- الجهوري، زوينة بنت سليم بن عيسى (2002). *فاعليّة الطريقة التكامليّة في تحقيق الأهداف المرجوّة في تدريس المطالعة والنصوص لدى طالبات الصفّ الأوّل الثانويّ بسلطنة عمان*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيّة التربية، جامعة السلطان قابوس.
- Jones, S. (2023). *Integrated curriculum and student performance: A contemporary study.* Routledge.
- King, R. (2023). *Higher-order thinking skills in integrated education.* Sage Publications.
- Smith, J. (2022). *Curriculum integration: A research-based approach.* Cambridge University Press.